قصة هداية القسيس جرجس إلى الإسلام

القسيس جرجس، عمره سبعة وأربعين عاما، تم تسميته فيما بعد باسم مصطفى، يقول (مصطفى) إن هذا الاسم أحبه كثيرا لأنه من أسماء النبي محمد عليه الصلاة والسلام، الذي أصطفاه الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهداية.

قال: كنت دائم التواجد في الكنيسة، والتي كنت أعتبرها أفضل مكان وأقدس مكان كأي رجل مسيحي متدين، والناس (الرعية) كانوا يمتثلون لكل ما نقول، كنت قسيسا نشيطًا للغاية، أخدم الكنيسة بكل أخلاص وجد واجتهاد، **ولكنني في الحقيقة كنت غير مرتاح**، ولم أكون يوما مقتنعًا بما كنتُ أفعله في النصرانية، ولكن لا يجدر بي إلا أن أدافع عن إيماني المسيحي وبكل ما يمكن، وأن أزيد من نشاطي وعن دوري في دفع الناس للإيمان بهذا الدين الذي كنت أؤمن أنه دين القداسة ودين الخلاص.

من العجيب الذي لم أكن أستطيع إنكاره أن السؤال ممنوع في ديننا، وأتذكر الكثير من المواقف التي حدثت معي خاصة حين يتعلق الأمر بطرح الأسئلة التي لا أستطيع أنا ولا غيري من رجال الدين المسيحي الإجابة عليها، ومنها:

إذا كان المسيح موجوداً منذ الأزل مع الآب فما هي طبيعة العلاقة بينهما؟

وما هي كيفية التحول من الألوهية إلى مرتبة البشر في بطن امرأة مخلوقة مثل والدة الإله مريم العذراء؟

وإذا كانت العذراء مريم والدة الإله فهل هي خالقة أو مخلوقة؟

وما هو شأنها عند المسيح ابنها إذا كان هو ربها وابنها معا؟

وكيف يكون الأب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم متحدون ومتساوون في الجوهر، وهي في الأصل مفردها أقنوم؟ كما أن كلمة أقنوم كلمة سريانية الأصل معناها الذات الإلهية المستقلة؟

وما هي العلاقة بين اللاهوت والناسوت على ضوء عقيدة ملء الجسد ولم ينفصل عنه وأن له طبيعة واحدة؟

لماذا استمرار العقوبات حتى بعد الفداء؟

هل تعتمد الأقانيم على بعضها البعض؟

وماذا حدث من عهد آدم حتى ميلاد المسيح الرب؟

لماذا لم يفدي البشر في عهد آدم؟

وإذا كان اللاهوت لم يفارق الناسوت لحظة واحدة ولا طرفة عين، فهل اللاهوت صلب مع الناسوت؟

أم أن اللاهوت ترك الناسوت لحظة الصلب والموت على عود الصليب؟

وهكذا كان هناك الكثير من الأسئلة، ولكن كنت أقول فقط: **"لا تسأل أبدا، فقط اتبع ما يقوله القساوسة وكتابك المقدس وإيمانك في دينك المسيحي"، وفي نفسي كنت أدرك أن المسيحية ليست هي الدين الحق، لأن هناك أشياء في الدين كبار القساوسة وحتى رجال الدين المسيحي لا يعرفونها ولا يعرفون الإجابة عليها!**

واستمر الأمر على هذا إلى أن جاء اليوم الذي غير حياتي بأسرها، حين تسلمت من شاب اسمه فادي كتاب (هل المسيح رب؟)، وأتذكر جيدا حين قال لي فادي: (هل يمكن أن أعرف منك ليكون إيماني قوي في المسيحية أين قال المسيح أنه رب؟)، وهنا كان غضبي عليه شديد وشديد جدا، وهنا هددته وقلت له (لا تعود إلى مثل هذا الكلام وإلا ستوقع على نفسك العذاب الشديد)، فقال لي فادي: (يا قسيس جرجس خذ هذا الكتاب وجرب

قرائته، وبعد قرأته اِقلع عيني وأريني أين قال المسيح أنه رب وأنه يجب الإيمان به كرب وأنه ابن الرب المخلص، وأنه من صُلب على الصليب وتعرض لتحمل كل ما تحمله ليخلصنا).

ومما قال لي فادي في ذلك الوقت: (هل تقبل أنت أن يكون لك ولد ويكون هذا الولد وحيد فيتعرض للعذاب والقتل وأنت قادر على منع كل هذا وتخليصه منه ولا تفعل؟)

كما قال لي فادي: يا قسيس جرجس هل يدخل إلى عقلك أن يفعل آدم الخطيئة، ويعاقب عليها المسيح، وبينهما كل هذا الفارق الزمني البعيد؟

ولماذا يكون المسيح هو المخصوص بالعقوبة ولا يكون غيره؟

وما هو الذنب الذي ارتكبه المسيح نفسه؟

وما علاقته بتلك الخطيئة؟

وأتذكر أنه قال لي أن العقاب يكون على قدر حجم الذنب، فكيف لذنب مثل أكل الثمرة أن يكون عقابها بهذه الطريقة البشعة والجريمة التي توصف بأبشع جريمة في التاريخ وهو مقتل ابن الرب، وقبلها تعذيبه بهذه الطريقة البشعه جدا؟

كما سئلني الكثير من الأسئلة عن حقيقة الثالوث والإيمان به، وأتذكر حين قال لي: هل قال المسيح: أنا الله؟ أو قال له أحد: يا الله؟

وهل قال المسيح: اعبدوني؟ أو قال: أنا الذي خلقتكم ورزقتكم وأحييتكم وأُميتكم؟ أو قال له أحد: يا خالقنا ورازقنا ومدبِّر أمرنا؟

وكيف لله الخالق أن يتجسّد فى صورة المسيح وهو بشر؟

فهل قال: أنا الله المتجسد؟

وهل هذا الأمر الخطير الذى يترتب عليه دخول الجنة أو النار لا يستحق الذكر في الإنجيل؟

أليس المفروض أن يكون كلامه واضحاً حتى لا يكون هناك حجة لأحد فى أن يقول: أنا لم أفهم منه ذلك لأنه لم يَقُلْها صراحةً؟

وإذا كان هو الله المتجسد فلماذا لم يتجسد دون أن يدخل فى رَحِم مريم العذراء؟

ولماذا لم ينزل من السماء مباشرة ليكون أوقع فى قلوب عباده وأشد تأثيرا؟

إذا كان جوابك إن له صفات لاهوتية وأخرى ناسوتية وقد دخل فى رَحِمها لتعطيه أو يكتسب منها الناسوتية؛ فهل كان غير قادر على اكتساب هذه الصفات بدونها وهو القادر على كل شيء؟!

كما أنه من المعلوم في الإيمان المسيحي أن اللاهوت هو الأصل، أما الناسوت فهو مخلوق، فهل كان الله ناقصا حتى يُكمل نفسه بجزء من خلقه؟

ومما قال لي فادي: دعنا نؤمن إن الآب والابن والروح القدس ثلاثة فى واحد؛ فأنا أقول إن هذا مستحيل ولا يمكن فهمه، فكيف يكون الغير محدود لا يمكن فهمه بالعقل المحدود، وهل ابن الرب اللا محدود يدخل فى رَحِم السيدة مريم المحدود؟!

أنتم تقولون إنه صُلِب ومات ودفن لمدة ثلاثة أيام ثم صعد ليجلس عن يمين أبيه، فمن كان يدبِّر أمر السموات والأرض وهو ميت؟

ولو كان هو الله فيكون جلس الله عن يمين نفسه؟

كيف للمسيح أن يكون قد جاء ليفتدينا من خطيئة آدم؟ فما ذنبنا فى خطيئة آدم؟ وما ذنب المسيح أن يُعذَّب بدلاً منه؟!

فكانت أسئلته قوية جدا، **وهي مثل السهم الذي اخترق عقلي المحدود، وجعلني أصمت وأشعر أن شيء عظيم زلزل قلبي وفكري معا**.

تحولي التدريجي بعد الصدمة

وهنا لم أجد أي كلام للإجابة عليه، ووجدت أن حياتي الدينة في ديني المسيحي كانت **فارغة روحيا وعاطفيا**، لأنني لم أجد جوابا واحدا لأي سؤال، وهذا دفعني لقبول كتاب (هل المسيح رب؟)، وقد كان لهذا الكتاب تأثير عميق وكبير جدا بعد قرائتي له، فهو **وضعني أمام حقائق مدهشة ومعلومات مهمة حول كل إيماني المسيحي**، ثم هدم في نفسي إيماني المسيحي، **وقد تعرضت بعده إلى حالة عميقة من الانتكاسة**، وخاصة أنني كنت أؤمن بأن الإيمان بالرب المسيح هو الخلاص، وأن يسوع الرب المسيح هو الرب المتجسد على الأرض، وكلمة الله الآب (وهو موجود منذ الأزل مع الله الآب) لم تفارقه أبدا، وأن الرب الآب والكلمة (الابن المتجسد) والروح هم إله واحد، لأن الله ذاته وروحه وكلمته واحد لا يتجزأ ولا ينفصل، وكنت أعتمد على أن الإنجيل المقدس يوضح لنا معالم طريق الإيمان المسيحي، أما الذين آمنوا باسمه (أي المسيح يسوع) فقد منحهم الحق في أن يصيروا أولاد الله الآب، وهم الذين وِلِدوا ليس من دم ولا من رغبة جسد ولا من رغبة بشر، بل مِن الله الآب.

وكنت أؤمن بالمسيح بأنه رب، وهذا الرب القدوس قد نزل من مجده في السماء إلى أرضنا متخذا جسدا إنسانيا لكي يحل مشكلة الخطايا والذنوب التي فصلتنا تماما عن الله، وأهَّلتنا لنوال عقاب الله العادل الذي هو العذاب الأبدي، وأن الكتاب المقدس يذكر لنا أن عقوبة الخطيئة هي الموت، لذلك استحققنا جميعا عقاب الله الآب في الجحيم، ولأن الرب الله أحب العالم فقد نزل المسيح (ابنه المخلص) لكي يأخذ عنا عقوبة الذنوب بالكامل، ومات نيابة عنا، ولأنه لم يفعل أي خطأ أو ذنب فهو البريء الذي مات من أجل الناس، فقام منتصرا على القبر والموت والشيطان، وأعلن أن كل من يثق ويؤمن بما عمل فقد نال الحياة الأبدية، ولأن عدل الله قد أخذ مجراه، وبهذا يقدر الإنسان أن يحمل اسم المسيح، ولكن ما قرأته في ذلك الكتاب (هل المسيح رب؟) وما تبع ذلك من تأثري الشديد بالفقرات التي فيه، وخصوصا ما جاء فيه في الفصلين الثاني (الأدلة العقلية) والفصل الرابع (الأدلة القرآنية) **هدم كل ما كنت أؤمن به وما كان في قلبي.**

وكنت أجلس مع نفسي وأفكر إلى حين عودة ذلك الشاب فادي، والذي بدأ يعرض علي بعض الكتب في نقض العقيدة المسيحية، وكان كلامه لي عنها يحفزني كثيرا للقراءة فيها، مثل كتاب (بطلان عقيدة توارث الخطيئة)، وكتاب (من هو اليسوع في دينكم الإسلام؟)

وهنا كان تأثري يتصاعد، والحقائق تتضح أمامي من خلال القراءة لهذه الكتب حول المعنى الصحيح للربوبية والألوهية، وما ينبغي أن يتصف به الإله الحق من صفات الكمال والجلال والعظمة، والتي تبين لي جيدا أن الحياة التامة الكاملة التي لا يسبقها عدم ولا يعتريها نقص مع القيومية والصمدية لا يمكن أن تكون إلا مع الوحدانية المطلقة للرب الله، وبما تقتضيه من القوة والجبروت، والعزة والملكوت، والكبرياء والعظمة، والعلم والقدرة، وغير ذلك من صفات الكمال، فكنت أسئل نفسي أين هذا من إيماننا المسيحي؟ سواء من اعتقاد التجسد في هيئة إنسان، وأن يعاني ما يعانيه البشر، وأن يتنازل عن حقوقه وعظمته، ويسمح بأن يجلده بعض خلقه، بل يصلبوه ويقتلوه!

ثم تسائلت عن أزلية الآب والابن جميعا، كيف يمكن تصورها، فإذا كان كلاهما أزليا، فَلِمَ كان أحدهما أبا والآخر ابنا مع أن أحدهما لم يسبق الآخر؟ وإذا كان الأب سابقا للابن، فكيف يكون الابن أزليا؟

وليس هناك من مهرب من هذا السؤال الذي كان يتردد في نفسي كثيرا.

وكيف يكون الأب والابن واحدا لا يتجزأ، وأزلي مع الله، وواحد مع الله، لا يتجزأ منه.

وكانت تتبادر الى ذهني الكثير من الأمور المعقدة والأسئلة التي أشبهها بالسراب، مثل أحقية الإيمان بالتثليث في العقيدة المسيحية، وعقيدة الصلب والفداء، وقيام المسيح بعدما صُلب وصعد إلى السماء ليجلس على يمين الرب، وكل هذه الأمور والإيمانيات المعقدة.

ولكن ما شرحه لي فادي عن إيمانهم في دين الإسلام وما وضحه لي عن المسيح وأنه عبد من عباد الله، وأنه رسول من رسله، أرسله الله إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، **فأدركت أنني أمضي في دين فارغ**، دين لا يمكن المرء فيه إلا أن يقتنع بخرافات وأوهام لا تمت للواقع بصلة، **فعشت**

في صراع داخلي كبير بيني وبين نفسي، ولكنني لله الحمد تخلصت من ذلك الشعور المريب حين بدأ فادي يعرض لي الإسلام، وكان يشرح لي كل شيء عنه، وكان يزيدني من الكتب، ككتاب (الإسلام دين الفطرة)، وكتاب (شعب الإيمان في دين الإسلام) وغيرها.

وهنا وجدت في الإسلام دينا كاملا لا ينقصه أي شيء، وهو دين واضح المعالم وكامل الصفات، وكان يعطيني الكتب عنه ويشرح لي أمورا كثيرة عنه، وخاصة كتاب القرآن مع التفسير، ذلك الكتاب العظيم، الذي شعرت بالفارق الكبير بينه وبين كتاب الإنجيل، فقد وجدت في كتاب القرآن كلاما لا يمكن أن يكون صادرا إلا عن الرب الحقيقي، **وأن هذا الكتاب مقدس بقدر يكفي لأن يرتجف القلب والفؤاد من كل كلمة مذكورة فيه**، وأن هذا الكتاب يشمل كل تفاصيل الخلق، وفيه بيان من الرب لكل ما نشاء معرفته.

الاقتراب من الإسلام

هنا بدأ قلبي يخفق وجوارحي تشتاق لسماع المزيد من فادي عن هذا الدين، وكل صغيرة وكبيرة عنه، وبدأت أحبه لدرجة كبيرة لأنني أدركت جيدا أن الإسلام هو دين الحق وهو دين النور الحقيقي، وأن هذا الدين عظيم وكبير لدرجة الإبهار، وكل ما كنت أسمعه من فادي عنه أثبت لي أنه دين الأنبياء والرسل، وهو الدين الذي يرضاه لنا، وخاصة مسألة إيماننا في الرب الواحد، الرب الخالق دون الشرك فيه ولا الإيمان بغيره ربا ومعبودا.

الدخول في الإسلام

حين وصلت إلى القناعة التامة رددت خلف فادي في فرح شديد، وشهدت أن لا إله الا الله، وأن محمدا عبدالله ورسوله، وأن المسيح عيسى هو عبد الله ورسوله، ولم يكن ابن له ولا شريك له في الملك ولا في الألوهية، وهذا الاعتراف والإيمان القلبي جعلني أشعر بسعادة عظيمة وكبيرة تدفقت إلى قلبي، وكم أجد لذة السعادة والإيمان والاطمئنان بالإسلام هذا الدين القيم هذا الدين العظيم دين كل الأنبياء والصالحين.

وفعلا وجدت أنه لا يوجد دين آخر صحيح غير دين الإسلام، لأن الأنبياء بداية من النبي آدم عليه السلام وانتهاء بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على الإسلام بمفهومه العام، وكل الأنبياء كانوا يقولون: لا إله إلا الله، هو الخالق وهو الرب وحده، ولو أن كل الناس عرَفوا الإسلام الصحيح وبحثوا عنه فسوف يرون أن الإسلام هو دين السلام ودين الحق والنور الحقيقي، وهو الطريق الوحيد لدخول الجنة، فالحمدلله على نعمة الهداية للإسلام، والحمدلله على نور الإسلام الذي دخل إلى أعماق قلبي.

بعد الإسلام

أعجَب ما قاله مصطفى بعد أن دخل في الإسلام أنه تعلم من هذا الدين أخلاقًا لم يرها من قبل في بيئته المسيحية، قال: قد وجدت بعد دخولي في الإسلام أنه ليس بالصورة التي يروج لها، بل بالعكس، فإن الإسلام دين نقي من كل ما يتهم به، وهو يتنافى تماما مع ما يشاع ضده في الإعلام من أحقاد وكراهية لتطمس وجوده وتخفيه وتخيف الناس منه وتبعدهم عنه، فكم غيَّر الإسلام من سلوكي، ولقد ساعدني على التغيير، وجعلني أدرك قيمة الأشياء في الحياة، ومعرفة السبب لوجودنا، والغاية الحقيقية من خلقنا وهي طاعة الله، والآن أنا أكثر سلاما مع نفسي وإيمانا بخالقي وهو الله.

ولقد تغيرت حياتي في الصلاة، فالصلاة في الإسلام تجعلني قريبا من الله ولا أطلب سواه، ولا أؤمن بغيره، وهذه الصلاة تجلب الغفران الحقيقي وتصلك الإنسان مع الله بشكل مباشر، إن الإسلام جعل عقلي أكثر تفتحا، وبصيرتي أصبحت على النور والهداية، وأيضا جعلتني شخصا أفضل مما كنت في السابق بكثير.

والإسلام يجعلك تفكر دوما في طاعة الله وعبادته وحده، وهذا اختبار الحياة، لأننا سنواجه ما فعلنا في الآخرة، يوم الوقوف أمام الله يوم القيامة، وكل شخص مسئول عن نفسه، ولا يمكن لأحد أن يعاقب بخطيئة الآخر.

والإسلام جعلني انضبط في كل سلوكياتي، وأحب كثيرا عباداتي الإسلامية التي يأمرنا بها من طهارة القلب والجسم واللسان والصلوات الخمس والصوم وذكر الله والكثير من الأعمال الحسنة والطيبة التي يريدها الله منا، وهذا جعل في قلبي السعادة العظيمة التي تفرح قلبي، فهذا هو الدين الإسلامي العظيم الذي يحترم الإنسانية، **وكانت سعادتي الأكبر في سجودي وصلاتي**، فأشعر أن هناك أرتباط وثيق وصلة مباشرة مع الله الخالق **ودون أي وسيط**، وكنت أشعر بالكثير من الراحة النفسية التي تجعلني مرتاحا كثيرا في هذه العبادة عبادة الصلاة، وكم كان للقرآن من أثر عظيم في حياتي، لأن قلبي كان يخفق وبشدة من خلال قراءة كلماته، ووجدت أن القرآن هو أعظم كتاب عرفته في حياتي، ولما قرأت القرآن شعرت أن روحي تهتز داخل جسمي، قد أودع الله فيه علم كل شيء، ففيه الأحكام والشرائع والأمثال والحكم، والمواعظ والتاريخ، والقصص ونظام الأفلاك، وكل ما نحتاج في حياتنا وفي الآخرة، وكل ما نحتاج تعلمه وما نُنهى عن تركه لنكون سعداء وفي فرح كبير جدا لأننا ننطق بكلام الله الحقيقي ونعمل به.

ومنذ أن تركت الكنيسة كسبت أمور عظيمة، لأنني أصبحت أطيع الله وحده ولا أعبد سواه، فالإسلام أعظم شيء عرفته في حياتي، وهو غير بوصلة حياتي للنحو الأفضل، وأنا كل يوم تزداد سعادتي في الإسلام، وأجده الحق ودين كل الأنبياء والصالحين، وهو دين الحق والنور العظيم.

زواجي في الإسلام

والحمدلله في الإسلام طرقت باب الزواج، وبهذا ابتعدت عن طريق الاختلاط وممارسة الأفعال المحرمة التي كانت في ديني الماضي، وخصوصا العلاقات الجنسية والتي تخلو من الأخلاق، فالنساء فيه سلعة رخيصة يتناولها الجميع لسهولة الاختلاط فيه، وهناك الأفعال الكثيرة من تلك الممارسات والسلوكيات في الكنيسة، وقد كنت تائها في بحر كبير من المعاصي، والحمدلله بعد أن دخلت الى الإسلام تزوجت وحفظت نفسي عن الوقوع في الحرام، وقد وجدت أن الزواج في الإسلام له غايات وأبعاد أيجابية كبيرة، وأنه ليس مجرد اجتماع الذكر والأنثى والتكاثر النوعي، فالزواج الإسلامي يحفظ الأمانة ويصون الكرامة ويقدر مشاعر الإنسان ذكراً كان أم أنثى، ويحوط هذه العلاقة بسياج من الاستقرار والطمأنينة، ويكفي عن البحث عن الارتباط الجسدي القذر من علاقات محرمة كثيرة كنت أقع فيها رغبة لأشباع الجسد واللذة، ووجدت أن الإسلام يربط لنا الحياة الزوجية في أجمل معيشة مشتركة تتميز بإشاعة السكينة والتراحم والتواد والمحبة والارتباط الأسري، والتعاون على الخير والبعد عن الشر، والبعد عن العلاقات المحرمة وما يتم فيها من إفساد للروح، وفي الزواج وجدت العفاف وراحة القلب لأنني في علاقة وثيقة بعيدة عن المحرمات وأنا سعيد جدا مع زوجتي.

وقد أنجبت طفلة وتم تسميتها باسم فاطمة، وهذا زاد من سعادتي، ونشترك أنا وزوجتي في حياة إسلامية يملؤها المحبة والود، وهذا جعل حياتي تتغير كثيرا، وأصبحت أكثر هدوءا ولا أمارس أي علاقة خارج الزواج كما كنا نفعل في ديني السابق، والإسلام جعلني أعيد بناء حياتي على أساس قوي وصلب، بعكس الحياة السابقة التي كانت هشة تملؤها المعاصي والذنوب، من ممارسة العلاقات الجنسية وشرب الكحوليات والمسكرات، والسهر واللهو والضياع الكبير الذي كنت فيه، وغيرها من مبادىء وعلاقات اجتماعية في ديني السابق كانت كلها ذنوب ومعاصي، والحمدلله رب العالمين أنني تخلصت من تلك الأفعال التي أخجل عن ذكر تفاصيلها، والحمدلله أنني بمجرد دخولي للإسلام غفر الله لي تلك الأفعال السيئة، فالحمدلله على نعمة الإسلام أعظم نعمة حصلت عليها في حياتي، والحمدلله على الهداية له.